بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١٥) ثقافةُ الإنْصاف والاعْتذار
رَكائزُ على طَريق تَرسيخ التَّراحم بين الناس[١]

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

هناك مجموعةٌ من القيم المنسيَّة والغائبة عن حياتِنا المعاصرة، وهي من القيَم المهمَّة والبانيَة للتلاحم، والتَّراحم، والإخاء، والوئام، وتَحقيق السلام بين الناس، ومن بينها: (ثقافة الإنْصاف والاعتذار).

فالناسُ في تَعاملهم في حياتهم العامَّة قد يخطئون في حقِّ الآخرين، ويتكبَّرون عنِ الاعتذار، وعن الإنصاف!.

والخطأ من سِماتِ البَشر، والشخصُ منَّا معرَّضٌ للخطأ، وليس من العيبِ أن يُخطئ الإنسان؛ ولكنَّ العيب هو التمادي والاسْتمرارُ في الخطأ، وعدمُ الاعتذار عنه.

والاعتذارُ في أيْسَر مَعانيه هو التأسفُ عن الخطأ في حقِّ شخص، أو مَجموعةٍ صغيرة أم كبيرةٍ من الناس، وطلبُ السَّماح من الطرف الآخر.

والاعتذارُ ثقيلٌ على النفس البشرية، بيدَ أنَّ المعتذِرَ شجاع؛ لأنه قاومَ نفسَه التي تدْعوه إلى الاسْتكبار وعَدم الاعتذار، وهو يروِّضُها على الاعتذار.

وهكذا فإنَّ الاعتذارَ من شيَم الكبار، مع الأخذِ في عينِ الاعتبار أنَّ الاعتذارَ ليس خضوعًا أو ذلًّا أو مَهانة؛ بل هو شجاعةٌ أدبية، ومُراجعةٌ للذات، وقوَّة من المعتذِر، تؤكدُ على قيمةِ الإنصافِ من النفس، وقد

(١) راجع ذلك مفصلا: د/ أحمد علي سليمان: كيف نتوضأ بأخلاق النبوة؟، القاهرة، دار إشراقة، ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م، ص ١٧٥-١٨٠

قال سيدُنا عمارُ بنُ ياسرٍ (رضي الله عنه): "ثلاثٌ مَنْ جمعَهُنَّ فقدْ جمعَ الإيمانَ: -ومنها- الإنصافُ مِن نفسِكَ،...."(٢).

التَّوبةُ من تَجلياتِ رَحَمات الله للتّائبين والمُعْتذِرين:

ومِن رَحماتِ الله تعالى بنا أنه يَقبلُ رجوعَنا، وتوبتَنا، وأوْبَتنا، واعْتِذارنا واسْتغفارنا.

وقد شرعَ اللهُ تعالى لنا عدَّة تَشريعات، ولعلَّ الناظرَ إليها يجد أنها تُعبر عن قيمةِ الاعتذار.

فسجودُ السَّهو يحمل معنى الجبْر عمّا بدرَ من العبد في صلاتِه من انشغال أو زيادةٍ أو نُقصان، ومثل كفارة اليمين، وديَة القتل الخطأ.

وقد ذكرَ القرآنُ العظيم نماذجَ كثيرةً تعبِّر عنِ الاعتذار والإنصاف، ومنها:

- ما وردَ على لسان سيدنا آدم وأمِّنا حواء (عليهما السَّلام) عندما أكلا من الشَّجرة التي نَهاهما اللهُ (تعالى) عنِ الأكل منها: (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (الأعراف: ٢٣).
- وكما وردَ على لسانِ سيدنا يونس (عليه السَّلام) الذي أراد فعلَ الخير ودَعوة أُناس إلى دينِ الله، في منطقةٍ لم يأمرْه الله بدعوةِ أهلها، اعتقادا منه أنَّ كلَّ مكانٍ متاحٌ لدَعوته. وتوجَّه إلى ربه بهذه المناجاةِ التي أصبحت فيما بعدُ دعاءَ النَّجاة من الكروب (وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (الأنبياء: ٨٧)، ومعنى قوله: (فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ) أي: إنَّه ظنَّ أننا لن نُضيِّق عليه في مناطق الدعوةِ إلى الله.. فتقبَّلَ اللهُ استغفارَه وتقبَّل عذرَه، قال تعالى: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ) (الأنبياء: ٨٨).
- وكما وردَ من سيدنا موسى (عليه السلام) عندما وكَزَ الرجلَ وحدَثَ ما حدَث.
- وكما وردَ من سيدنا محمد (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ) عندما جبرَ بخاطرِ الصَّحابي الجليل الضَّرير الكَفيف سيدِنا عبد الله بنِ أمِّ مكتوم (رضي الله عنه) وكان قد أعرضَ عنه، وهو يدْعو كبارَ المشركين للإسلام، ثمَّ يطيِّب خاطرَه بمُنْتهى البِشْر، بعبارةٍ جَليلة خلَّدَها التاريخ: "مرحبًا بمن عاتَبَني فيه ربي"(٣).

---

(٢) أخرجه بدر الدين العيني الحنفي في عمدة القاري بإسناد صحيح.

(٣) أقبل عبد الله بن أم مكتوم والنبي (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ) مشتغل بمن حضره مِن وجوه قريش، يدعوهم إلى الله تعالى، وقد قويت رغبتُه في إسلامهم وكان في إسلامهم إسلام مَن وراءهم من قومهم، فجاء ابنُ أم مكتوم وهو أعمى فقال: يا رسول الله علِّمني مما علمك الله، وجعل يناديه ويكثر النداء، ولا يدري أنه مُشتغل بغيره، حتى ظهرتِ الكراهة في وجه رسول الله (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ) لقطعه كلامه، وربما يقول هؤلاء: إنما أتباعه العميان والعبيد، وقيل إن النبي (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ) أشار إلى الذي كان يقوده أن يكفه، فدفعه ابن أم مكتوم، فعبس وأعرض عنه، فنزلت الآية. وقد عاتبه الله تبارك وتعالى؛ حتى لا تنكسر قلوب أهل الصفة قال الثوري: فكان النبي (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ) بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم يبسط له رداءه ويقول: "مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي".. ويقول: هل من حاجة؟ واستخلفه على المدينة مرَّتين في غزوتين غزاهما. قال أنس: فرأيته يوم القادسية راكبًا وعليه درع ومعه رايةٌ سوداء، وقد أنزل الله في حقِّه على نبيِّه (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ) قولَه تعالى: (عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ) (عبس:١) بلفظ الإخبار عن الغائب، ولم يقل: عبست وتوليت تَعظيمًا له (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ)..راجع: تفسير الإمام القرطبي لسورة عبس.

انْظروا أيها السادةُ إلى جَمال كلماتِ الإنْصاف من النَّفس والاعتذار، وجلالها، ووَقْعها الطيّب على القلوب والنفوس.

أهميةُ الاعتذارِ الفائقة في الحياة:

الاعتذارُ يؤلِّف القلوب، ويَقضي على العَداوات ويَقتلعُها من جذورها، بشَرط أن يكون نابعًا من القلب، وصادقًا، وصريحًا، وسَريعًا، وخالصًا لله تعالى.

والاعتذارُ يَقضي على الخُصومة، ويوقِف عملَ الشيطان في إشاعةِ العَداوة والبَغضاء بين الناس؛ لذلك يوسوسُ الشيطانُ للمخطئ بحيث يجعل الاعتذارَ ثَقيلًا على نفسِه.

والاعتذارُ يُشيع روحَ الأخوَّة بين الناس، ويَجعلهم كالجسدِ الواحد إذا اشْتكى منه عضوٌ تَداعى له سائرُ الأعضاء بالحمَّى والسَّهر.

وأظنُّ –وبعضُ الظنِّ ليس إثمًا– أنَّ الحياة لا تَسير من دون اعتذار؛ لأنَّ الخطأ من طبيعةِ بني آدم، وأنَّ الرجوعَ عنه فَضيلة، والاعتذار منه يَنشرُ التراحم، والمودَّة، والمَحبَّة بين الناس.

إنَّ كلماتِ الاعتذار والإنصاف عزيزي القارئ الكريم لها مَفعولُ السِّحر في النُّفوس، والقلوب، والوجدان، والعقول، فعندما يقول المُخطئ (أنا آسف)، أو (آسف جدًّا)، أو (أعتذرُ منك)، أو (حقّك عليَّ) وغيرها من الكلمات، فيَسمعها الطرفُ الثاني ويَراها في عَين المُعتذر؛ فهذه الكلماتُ لها صدى واسعٌ في القلوب والنفوس، وهي تُمثل جانبًا سلوكيًّا، ونفسيًّا، ووجدانيًّا مهمًّا، حثَّ عليه الشرعُ الحنيف.

إنَّ الإنصافَ والتَّراحم والاعتذارَ سلوكٌ حضاري، وفنٌّ، ومَهارة اجتماعية، تزيدُ من الألفةِ والمحبَّة والتقارب بين جميع أفراد المجتمع، لا يستطيع صِناعتَها إلا مَن اتَّصلت نفسُه بالقرآن والسنة؛ فديننُا الإسلاميُّ الحنيف من أكثرِ الأديان حثًّا على الإنصافِ والتوبة والرجوع.

وهكذا فنحنُ بحاجةٍ ماسَّة إلى نَشر ثقافة الاعتذار في كلِّ مكان[٤] لا سيَّما بين النَّشء والشباب، فحين نُربي أولادَنا ونُعوِّدُهم على كلمات التواضع، وعلى مُفردات الاعتذار، ونُعلِّمهم كيفيةَ الاعتذار؛ فهذا بلا شكٍّ يَستوجب منَّا الإشادةَ بتَصرُّف الطفل والنشء والشابِّ أمام الآخرين، والعمل على تعزيز تلك الفَضيلة في نفوسهم.

معَ الأخذِ بعَين الاعتبار أنَّ الطفلَ الذي لا يَعتذرُ هو في الغالب ابنٌ لأبٍ لا يَعتذر.

والأبُ الذي يَعِدُ أولادَه بهدايا، ولم يتمكَّن من الوفاء بها، عليه أن يعتذر لهم.

والوالدُ الذي يَنفعل على أسرتِه نتيجةَ ضغوطِ العمل والحياة، عليه أنْ يعْتذر، وكذلك الزوج والزوجة؛ حتى تسودَ ثقافةُ الاعتذار في المجتمع؛ حتى ينجُمَ عنها ما نَرْجوه من سيادةِ الرَّحمة والتَّراحم بين الناس.

(٤) علي حسن السعدني: الاعتذار من شيم الكبار، طريق الإسلام، ٢٦ أكتوبر ٢٠١٣م، بتصرف.

على أنَّ الاعتذارَ لا يُختزَل في كلماتٍ معيَّنة فحسب؛ فكما أنَّ الاعتذار يكون بالقول، فالأجملُ منه أن يكون بالسلوك.. وقد يكون بالإشارة أو الإيماءَة أو غيرها، على حسب الموقف.

ويجبُ على الآباء والمُعلِّمين والمُربّين أن يغيّروا من سلوكهم؛ حتى يَكتسبوا هذه الصفةَ ويُمارسونها، كدليلٍ على التحضُّر والرقي، وليكونوا قدوةً للأجيال الصاعدة.

وكما يقولون دائمًا: إنَّ الاعتذارَ من شِيَم الكبار.. فنحن أيها السادةُ في أمَسِّ الحاجةِ إلى غَرس ثقافة الاعتذار وتَعميقها في بيوتنا، وفي مدارسنا وجامعاتِنا، وفي جميع مؤسَّساتنا، وفي مجتمعاتنا؛ حتى تزيدَ الألفةُ والترابط والتَّراحم والوئام والسلام في المجتمع.

إنَّ الاعتذار فيه الخيرُ كلُّ الخير.. فيه رضا الله عن المُعتذر الذي أعلن خطأه، وقدَّم واجبَ الاعتذار.

أيُّها القارئ الكريم، في مَجالس الاعتذار والصلح، لا ينبغي أن نذكرَ تَفاصيلَ المشكلة وتَداعياتها، أو غيرها من الأمور أو المواقف المؤجِّجة للصِّراع؛ لأنَّ ذكرَ الجَفا في مجلسِ الصَّفا جفَا.

الاعتذارُ السُّلوكي وفَضيلةُ الإسراع بالعَفوِ الاسْتباقي:

وهنا ننبِّه على نقطةٍ مهمَّة: وهي أنَّ إخوةَ يوسف أخطأوا في حقه (عليه السَّلام) فأرادوا الاعتذار، فقالوا: يا أبانا استغفرْ لنا.

ولكنَّ سيدنا يوسف (عليه السَّلام) أسرعَ بالعَفو قبلَ مرحلة الاعتذار، وهذا من شِيَم الكبار، وهذا نوعٌ من العَفو الاستباقي الجليل.

نداءٌ ورجاءٌ ودعاء:

أيُّها السادة الكرام، وأيَّتها السيدات الكريمات: اقْبلوا اعتذارَ الناس، فمَن أراد أن يَقبلَ اللهُ اعتذارَه فليَقْبل اعتذارَ الناس (...وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (النور: ٢٢)، فحقوقُ الله مَبنيَّة على المُسامحة، والمُساهلة، والمَغفرة، خاصَّة إذا استغفر العبدُ ربَّه تبارك وتعالى. أما حقوقُ العباد فإنها مَبْنِيَّةٌ على المُشاحة، أي على المُقاصَّة، فإنَّ العباد إن لم يُوفَّ إليهم في الدنيا، فسَيَسْتوفونها في الدار الآخرة.

والشخصُ منَّا سيحاسَب أمام الله على الذَّرة، فكيف بمَن يَستهين بحقوق الآخرين؟!

فهيّا بنا نَنشرُ ثقافةَ الاعتذار الصريح، والصحيح، والسريع؛ حتى تسودَ الألفة والأخوَّة، ويتحقَّق فينا قولُ ربنا جلَّ وعلا: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (آل عمران: ١١٠).

فما أجملَ أن نُنصف، ونَعتذر، ونَعفو، ونصفحَ عن الآخرين، فلا يعقل أن يطلبَ إنسانٌ العفوَ من الله، وهو لا يَعفو عن الناس!.

اللهمَّ وفِّقنا لكلِّ خير، واجعلِ الخيرَ يعيشُ معنا، ويتحرَّك معنا، ويَسير معنا أينما سِرْنا.

اللهمَّ وَضِّئنا بأخلاق نبيِّكِ العظيم، ومَتِّعنا بزيارتِه ورؤيتِه ونَيْل شَفاعته يا أكرمَ الأكرمين.

وصلَّى اللهُ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبِه وسلَّم.

***

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا الصِّيَامَ وَالقِيَامَ وَصَالِحَ الأَعْمَالِ يَا رَبَّ العَالَمِينَ... اللَّهُمَّ أَدْخِلْ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَهْلِيكُمْ وَأَنْجَالِكُمْ وَأَحْفَادِكُمْ وَذَرَارِيكُمْ أَجْمَعِينَ الفَرَحَ وَالسُّرُورَ وَالحُبُورَ، وَالسَّعَادَةَ العَامَّةَ التَّامَّةَ الكَامِلَةَ الشَّامِلَةَ الدَّائِمَةَ المُسْتَقِرَّةَ المُسْتَمِرَّةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ... نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ لَنَا وَلِأَوْلَادِنَا، وَلِمُجْتَمَعِنَا وَلِشَعْبِنَا.

اللَّهُمَّ احْفَظْ مِصْرَ شَرْقَهَا وَغَرْبَهَا، شِمَالَهَا وَجَنوبَهَا، طُولَهَا وَعَرْضَهَا وَعُمْقَهَا، بِحارَهَا وَسَمَاءَهَا وَنِيلَهَا، وَوَفِّقْ يا رَبَّنَا قِيادَتَهَا وَجَيْشَهَا وَأَمْنَهَا وَأَزْهَرَهَا الشَّرِيفَ، وَعُلَمَاءَهَا، وَاحْفَظْ شَعْبَهَا، وَبِلادَ المُحِبِّينَ يا رَبَّ العالَمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ على سَيِّدِنا وَمَوْلانا مُحَمَّدٍ، وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

خادم الجناب النبوي

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.com

متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها: (الدكتور أحمد علي سليمان)؛ يضمن لك كل جديد /https: //www.facebook.com/drahmedalisoliman